

التقاطع المعرفي بين التداولية و علم الكلام -فن المناظرة أنموذجا-

بعد تأصيلي للبعد التداولي في الدرس الكلامي

Cognitive intersection between deliberative and theology

-The corresponding art as a model-

After my thoroughness of the deliberative features in the theology lesson

سلمى شويط¹

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل -

Selmachouit18@gmail.com

عبد الكريم سناني

طالب دكتوراه جامعة الزيتونة

Senani18abdelkrim@gmail.com

تاريخ الوصول 2019/11/12 القبول 2020/11/30 النشر على الخط 2021/01/15

Received 12/11/2019 Accepted 03/12/2020. Published online 15/01/2021

ملخص:

يحاول هذا المقال أو هذه المداخلات الكشف عن مواطن الالتقاء أو التداخل أو حتى التقاطع المعرفي بين علم التداولية الذي ظهر في العصر الحديث و الذي يُعنى بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، وعلم الكلام الذي يضرب بجذوره في التراث العربي الإسلامي ويمثل أحد أهم العلوم العقلية التي فرضت وجودها في ساحة الفكر-عموماً-وذلك من خلال التعرض لنموذج "المناظرة" الذي تجسد⁽²⁾ حديثاً في الدرس التداولي بوصفه شكلاً من أشكال الحوار الحجاجي، كما كان هذا النموذج الأمثل و الأهم في علم الكلام لأنه يُعدُّ أهم الوسائل التي يُدافع من خلالها عن المسائل الدينية والعقدية، كما يروم هذا الطرح إلى ذلك النوع من التكامل المعرفي الذي تتأسس عليه علوم عدة سواء من حيث الآليات أو من المناهج أم حيث الدراسة، ومن تم جعلت التداولية كآلية إجرائية لفهم هذا الإرث المتميز من خلال فن المناظرة، هذه الأخيرة التي تعد مظهراً كلامياً فرض خصوصية فكرية في ذلك الزمن.

الكلمات المفتاحية: علم الكلام، التداولية، المناظرة، اللغة، المقام، المقصد.

Summary

This study attempts to reveal the points of convergence, overlap or even the intersection of knowledge between the deliberative science that emerged in the modern era, which deals with the study of language in use, and the theology, which is rooted in the Arab-Islamic heritage and represents one of the most important mental sciences that have been imposed in the arena of thought. Generally, through exposure to the model of "debate", which was recently embodied in the deliberative lesson as a form of pilgrim dialogue, and was the ideal and most important model in the science of speech because it is the most important means through which to defend religious and doctrinal issues, as this proposition To that kind N integration of knowledge, which is based upon the number of science, both in terms of mechanisms or approaches, or where the study.

Key words: theology- debate in the doctrine, language, maqam (context), destination

البريد الإلكتروني: Selmachouit18@gmail.com

¹ - المؤلف المرسل: سلمى شويط

⁽²⁾ من حيث الدراسة كونها اشتغال كلامي قائم على أساس المحاورة، لا من حيث الظهور، أي ظهور فن المناظرة.

تمهيد:

إن الكلام عن التقاطع المعرفي بين درسين أو حتى مجالين، هما في الأصل مختلفان إنما من باب الحديث عن التقارب المعرفي بينهما سواء من حيث المادة المشتركة (اللغة في الاستعمال)، أو من حيث الإجراء وهو شروط الكلام أو التداول. مع العلم أن التداولية إنما هي منهاج تحليلي هدفه الدراسة وغايته البحث عن السبيل الأمثل والأنسب لنجاعة الخطاب الذي يتخذ طرقاً قديداً والتي منها المناظرة، وعلم الكلام الذي يعد العلم التام المكتمل المعالم والذي يهدف في الأغلب الأعم للدفاع عن الحق والتصدي للأباطيل، حيث لجعل من المناظرة أساس الاشتغال لنصرة ما أراد في غالب الأمر.

كما تنطلق هذه الدراسة من تلك الفرضية التي تُؤَيِّد أكلها دائماً، والتي تقهقرت بسبب ضرورات المناهج التجزئية التخصصية والتي تفرض نوعاً من القطيعة بين العلوم والمعارف خاصة أثناء الدراسة والتطبيق المنهجي عليها؛ والمتماثلة من تلك النظرة التكاملية التي تنطلق من النظرة الشمولية للعلوم أو البحث المعالج، من خلال معالجة التعالق بين علم الكلام والتداولية، وإن بدا في بداية الأمر أن لا علاقة واضحة ومحددة ما بين العلمين، سواء من حيث الظهور الزمكاني، أم من حيث الاشتغال النظري أو التطبيقي لكليهما، باعتبار أن علم الكلام «بحث في فلسفة الدين والعقائد على شرط الإسلام»⁽¹⁾ والتداولية التي هي «بحث في شرائط استعمال اللغة وتوظيفها لتحصيل تواصل وتفاهم جيد»⁽²⁾.

إلا أن ما بين علم الكلام والتداولية نوع من التداخل المعرفي وإن كان على مستوى معين دون الآخر، أو في أحد الأصغرين والمتماثلة في الكلام وصنعتيه.

فإذا كانت التداولية تسعى لتأسيس منظومة القول تحديداً وتبيناً لآليته وشروطه التي يجب أن يكون عليها، فإن علم الكلام يتحدد من خلال الاعتداد بالقول تفعيلاً وتطبيقاً على مسرح القول.

ومن ثم أرادت هذه الدراسة إلقاء النظر على جانب يمكن القول أنه مغيب في مسيرة البحث في فن المناظرة خاصة وأنه قد ركز - في أغلب البحوث - على الجوانب الدينية والفلسفية والتاريخية وحتى الحضارية، المتوفرة فيها على ما يكتنفها من جوانب أدبية أو أسلوبية أو حتى تداولية، هذه الأخيرة التي تهدف الدراسة من خلالها، إلى الكشف عن بعض المعالم الخطابية والكلامية فيها وما يتخلل ذلك من تحقق صيرورة الخطاب، من خلال البحث في المتقاطع أو المتعلق بينهما.

ضف إلى ذلك أن فن القول عند علماء الكلام لم يتمظهر في القول المُنطَق الجاف الخالي من تلك الإبداعية الفنية الأدبية، أو الفصاحة الإبداعية التي تتخلل الكلام، بل إن خصوصية الاستعمال التداولي للكلام عندهم ينبئ عن تمكن ودراسة به، فقد أبدعوا فيه، كيف لا وصنعتهم هي الكلام بحد ذاته؛ فكانوا أرباب اللغة وزعماء البلاغة وسلاطين الفصاحة.

1-تعريف علم الكلام/ التداولية/ المناظرة:**1-1-تعريف علم الكلام:**

من المعلوم بالضرورة أن علم الكلام من العلوم الدينية التي ظهرت في الثقافة الإسلامية وتأسست معالمها وفقاً للضرورات العلمية التي فرضتها ساحة الفكر الديني، ومن ثم حُدد في أبسط تعريفاته بأنه العلم الذي «يُبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته، و

(1) إدريس مقبول، الأسس الإستمولوجية والتداولية - للنظر النحوي عند سيويو-«ط.1؛ الأردن، عمان: جدارا للكتاب العالمي للنشر

والتوزيع؛ 2006م.» ص.1.

(2) المرجع نفسه، ص.1.

أحوال الممكنات من المبدأ و المعاد على قانون الإسلام»⁽¹⁾ وهذا لأن قيامه إنما اقترن على «تواجه العقائد سواء بين أصحاب الملل الواحدة أو بين أصحاب الملل المختلفة.»⁽²⁾

هذا الفن أو العلم الذي لا يمكن تحديده و تصنيفه إلا بالقول الفصل بأنه «يمثل جانباً مهماً من جوانب الفلسفة الإسلامية.»⁽³⁾ وإن كان تبلور هذا العلم قد كان في «سياق خلافي، ومن ثم اعتمد السجال والرد واقتضى الجدل القائم على النظر و التفكير و قوة الخطاب مما جعله أرضية حاضنة ومطورة لمنهج المناظرة حتى اختص علم الكلام به و انماز من خلاله عن أصناف معرفية أخرى.»⁽⁴⁾

ومن ثمّ فعلم الكلام هو ذلك العلم الذي يدافع عن العقائد الدينية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة وأباطيلهم الفكرية والفلسفية جاعلاً من الكلام الوسيلة الأمثل و الأداة الفاعلة في ذلك، وبهذا أضحي فن المناظرة النموذج الأول في الدفاع عن أصول الدين و الرد على الأباطيل.

كما تحدد هذا العلم بتسميات اصطلاحية تتغير بتغير التحديد المفهومي لها:

«1-علم أصول الدين: وذلك يرجع إلى أن مسأله هي أساس الدين و أصوله...2-الفقه الأكبر: لأن علم الكلام أصل العمل و الطاعة...3-علم التوحيد و الصفات: ترجع تلك التسمية إلى أن هذا العلم يضع التوحيد منطلقاً للحضارة ومبدأ لكل فعل انساني.

1-2-تعريف التداولية:

يتجسد الدرس التداولي بداية بظهور مصطلح التداولية في الدرس الغربي، و دخوله إلى الدرس العربي وتمثله من خلال فكر طه عبد الرحمان الذي يعد أول من أدخل هذا المصطلح إلى الاستعمال العربي بعد ترجمة المصطلح من أصل وضعه، «وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح "التداوليات" مقابلاً للمصطلح الغربي "براغماتيقاً" لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالة على معني "الاستعمال" و "التفاعل" معاً. ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم.»⁽⁵⁾

وتتحدد التداولية التي تعد إجراء تحليلياً و التي ظهرت حديثاً لتُمثّل منهجها للدراسة النصانية في أبسط تحديداتها بأنها «دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم أو دراسة كيفية إيصال أكثر مما يقال، أو المعنى السياقي.»⁽⁶⁾ إذ يعد المعنى اللغوي/السياقي/التواصلي من أهم محطات الدراسة فيها، وهذا للوصول إلى التعرف على آليات تحقيق التواصل، ونجاعة الخطاب. خاصة و أن التداولية في حقيقتها ليست «علماً لغوياً محضاً، بل المعنى التقليدي، علماً يكتفي بوصف و تفسير البنى اللغوية و يتوقف عند حدودها و أشكالها الظاهرة، و لكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال؛ ويدمج، من ثم، مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة "التواصل اللغوي و تفسيره".»⁽⁷⁾

⁽¹⁾ علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، د.ط.؛ بيروت: مكتبة لبنان؛ 1985م. ص.194.

⁽²⁾ طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د.ط.2؛ المركز الثقافي العربي؛ 2000م. ص.70.

⁽³⁾ رجا أحمد علي، علم الكلام، د.ط.1؛ الأردن، عمان: دار المسيرة؛ 1433هـ. 2012م. ص.15.

⁽⁴⁾ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة. ص.157.

⁽⁵⁾ طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ص.28.

⁽⁶⁾ جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتاي، د.ط.1؛ لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون؛ 1431هـ/2010م. ص.19.

⁽⁷⁾ مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب -دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي- د.ط.1؛ لبنان، بيروت: دار الطليعة؛ 2005م. ص.16.

فهي إذن تصف المنجز اللغوي و تحاول قدر الإمكان فك الرموز المتحركة في بنائه و دخوله دائرة التواصل، ومن ثم فإن تحديد مفهومها ينطلق من كونها دراسة تهم باللغة أثناء الاستعمال، خاصة و أن استعمال اللغة أو الكلام أو التلفظ إنما هو « فعل لغوي مرتبط بالمتكلم و المخاطب في فترة زمنية محددة، و في مقام تواصل محدد. »⁽¹⁾

هذا حتى تقف عند الأسس الكبرى التي يتحدد من خلالها الكلام، انطلاقاً من الثلاثية التي تتحكم فيه وهي "اللغة" و "المقصد" و "المقام أو السياق".

كما تهتم من جهة أخرى بما « يسمح بدراسة أثر السياق في بنية الخطاب، ومرجع رموزه اللغوية و معناه، كما يقصد المرسل »⁽²⁾ فهي لا ترتبط بالمعنى الحرفي الذي في الكلام، بقدر ما تدرس دلالاته، من خلال ما تحقق في مقامه، و بعبارة أخرى تختص بدراسة « المعنى كما يوصله المتكلم (أو الكاتب) ويفسره المستمع (أو القارئ) لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة. »⁽³⁾

و ذلك لأن الغرض الأساس الذي تريد التداولية تحقيقه هو دراسة «المنجز اللغوي في إطار التواصل، و ليس بمعزل عنه، لأن اللغة لا تؤدي وظيفتها إلا فيه، فليست وظائف مجردة. و بما أن الكلام يحدث في سياقات اجتماعية، فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب.» فهي تنطلق مما هو محقق في التواصل دون الاعتداد بشكله، و إنما بذلك التفاعل الحاصل بين أطراف دائرة التواصل.

1-3-تعريف المناظرة:

يحدد المفهوم الاصطلاحي لمفهوم المناظرة من حيث التعريف بكونه «ممارسة حوارية قائمة على التفاعل بين متخاطبين، يشتركان في صنع المعرفة عبر المسار الحجاجي.»⁽⁴⁾

المستمدة لأصولها اللغوية من المادة الثلاثية "ن.ظ.ر" و التي تدور معانيها اللغوية في فلك الرؤية و الإبصار؛ نظر: «أمعن فيه النظر: أمعن فيه البصر.»⁽⁵⁾ ومنه تناظر: «القوم: نظر بعضهم بعضاً، تبادلوا النظرات...تقابل تواجه...تجاوز، تناقش، تجادل، تبادل وجهات نظر مختلفة...»⁽⁶⁾

فهي بالدرجة الأولى فن كلامي متميز يعتد به خاصة في مقام الخلاف و الاختلاف، إذ تعد جنساً أصيلاً خاصة في الثقافة الإسلامية و «نمطا غالبا على آليات الاستدلالية في العلوم المختلفة فقهية كانت (باب الخلاف) أو نحوية (باب القياس) أو أدبية (النقائص). ولا أدل على ذلك من غنى الحقل المعجمي الدال على المناظرة نحو: "المحاور" و "المجادلة" و "المحاجة" و "المناقشة"

(1) يوسف تغزوي، التداوليات و تقنيات التواصل ط.1؛ المغرب: مطبعة بلنفيقية الرشيدية؛ 2012م. ص.10.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب -مقاربة لغوية تداولية- ط.1؛ لبنان، بيروت: دار الكتب الجديدة؛ 2004م. ص.22.

(3) جورج بول، التداولية، ترجمة قصي العتاي ط.1؛ الرباط: دار الأمان؛ 1431هـ/2010م. ص.19.

(4) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط.1؛ الجزائر: منشورات الاختلاف؛ 1434هـ./2013م. ص.131.

(5) بطرس البستاني، محيط المحيط -قاموس عصري مطول للغة العربية- تحقيق: محمد عثمان، ط.1؛ لبنان: دار الكتب العلمية؛ 2009م. «مادة» ن.ظ.ر. م.9. ص.162.

(6) المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط.2؛ بيروت: دار المشرق؛ 2001م. «مادة» ن.ظ.ر. ص.1424.

و"المنازعة" و"المذاكرة" و"المباحثة" و"المجالسة" و"المفاوضة" و"المراجعة" و"المطارحة" و"المساحلة" و"المعارضة" و"المنافسة" و"المدافعة" و"المدخل" و"المنافرة" و"المنافرة".⁽¹⁾

كما يحدد المصطلح بكونه « علما يعرف به كيفية آداب أي طرق إثبات المطلوب و نفيه أو نفي دليله مع الخصم و موضوعه البحث.

كما تطلق المناظرة في اصطلاح أهل هذا العلم على النظر من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب...»⁽²⁾ وقد تبدى مصطلح المناظرة في التعريفات التراثية سواء التأصيلية في المعاجم اللغوية، أو الاصطلاحية في الكتب التعريفية الخاصة بضبط مصطلحات مفاتيح العلوم، ومن ثم فقد أطلق هذا المصطلح في ذلك العهد على «نص صغير أو كبير يعرض حوارا بين شخصين، وأحيانا أكثر، كل من الاثنين يخالف الآخر في الموضوع المطروح للمناقشة، ويتبنى فرضية تخالف فرضية الخصم، ويحاول دعمها بالحجج والبراهين... هذا الحوار يدور دائما في حضور أشخاص آخرين يختلف عددهم من مرة إلى أخرى، كما تختلف صفاتهم: فهم أمراء أو خلفاء أو علماء أو وزراء... أو علماء و مثقفون... وبموجب اختلاف الجمهور يختلف المكان الذي تدور فيه المناظرة.

ولم يتحل فن المناظرة كفن فقط في المعرفة آنذاك يعبر عن قضايا أو يشتغل على إجراءات فعلية، بقدر ما مثلت المناظرة مجالا حاسما و علامة واضحة على « رقي فكري ونضج عقلي. وهو من علامات النهضة في عدد من الحضارات ارتبط بالأنظمة الديمقراطية عموما حيث يسمح بالكلام و الخلاف. و كلما خفت الحوار و تقلص وضمر، غلب الصوت الواحد يعدم من يناقشه ويعترض عليه، ومالت الحضارة إلى الانغلاق و الاستبداد.»⁽³⁾

لدا يعد الحوار شرطا أساسيا للتعايش البشري، و في ثوب المناظرة يعد هو الآخر أساسا للتعايش الفكري و الحضاري، و هذا لأن المناظرة ليست تلك المغالبة الفكرية الجدلية، بقدر ما هي مبادلة تشاركية للعلم و المعرفة فقد « أخطأ الكثيرون عندما خلطوا المناظرة بـ"الجدل" و جعلوا غاية التناظر هي طلب النصرة و الغلبة على الخصم، بينما المناظرة هي أصلا البحث المشترك، طلبا للصواب، سواء أظهر هذا الصواب على يد هذا الجانب (المعتقد أو المدعي) أم ذاك (المنتقد أو المعارض).»⁽⁴⁾ لتبقى المناظرة ذلك الفن الكلامي الذي تصدر الحياة الفكرية و الثقافية و حتى العلمية في الحضارة العربية الإسلامية.

2- فن المناظرة وتجلياته في علم الكلام:

قد مثلت المناظرة - كفن كلامي - أهم الأسس الحوارية للمعالجة الخطابية في ذلك الزمن، نظرا للظروف العلمية والتحليلات المعرفية التي وجدت من خلالها، و من ثم كانت أهم وسيلة للمحاجة الكلامية، يسعى من خلالها المتناظران إلى تبيان الحجج القائمة على حقائق ومسلمات يقينية يقتضيها مقام التناظر، وضرورات المرحلة الزمنية، هذه الأخيرة التي يمثل القرن الثالث و الرابع الهجري أوج تطورها، خاصة بعد توسع الرقعة الجغرافية للأمة الإسلامية وما يترتب عن ذلك من دخول الأعاجم

⁽¹⁾ عبد العزيز لحويدي، الحجاج في فن المناظرة، من كتاب: الحجاج مفهومه و مجالاته، إعداد و تقديم: حافظ إسماعيلي

علوي، ط. 1؛ الأردن، عمان: عالم الكتب الحديث؛ 1431هـ/ 2010م. ص. 318.

⁽²⁾ بطرس البستاني، محيط المحيط. مادة "ن. ظ. ر. م." ص. 9. ص. 164.

⁽³⁾ باشا عياد، فن المناظرة. ص. 64.

⁽⁴⁾ طه عبد الرحمان، الحوار أفقا للفكر «ط. 1؛ لبنان، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث و النشر؛ 2013م» ص. 33.

وما جلبوه معهم من ثقافات وأفكار عقديّة خاصة، فكان هذا السبب من أبرز الأسباب لظهور فن المناظرة في علم الكلام حيث سلح المتناظرون أنفسهم للرد على ما يعتقدون أنه حق وعلى ما يظنون أنه صواباً.

كما كان لظهور الفلسفة اليونانية في الثقافة العربية الإسلامية- عبر الترجمة- الحدث الأهم في تبلور الفن التناظري، خاصة بعدما جند علماء الدين أنفسهم للرد على الأباطيل الفكرية وما صاحبها من ترهات معتقديّة، والتي كان لها الأثر على التفكير في المجتمع الإسلامي.

إضافة إلى ظهور مسائل فكرية وأخرى عقديّة مثلت الحظ الأوفر في المعالجة الكلامية من خلال فن التناظر أو المناظرة، حيث تقف في مقدمتها مسألة الجبر والاختيار والتي كان لها حتى تداعيات سياسية خاصة في العهد الأموي، و مسألة خلق القرآن، هذه الأخير التي كان لها الأثر الكبير في توجيه الفكر الديني آنذاك حيث تعدت مسألتها إلى اختبار و امتحان صعب سلكه كل من علماء السنة والحديث، وما أفرزه من تداعيات أثرت على البنية الفكرية والعقديّة للأمة، و مسألة الصفات في الذات الإلهية و ما ترتب عن هذه المسألة من جدال و سجال حاد بين معطل أو ناف و مثبت أو منزه لهذه الصفات، و مسألة الصلاح و الأصلاح في أفعال الله سبحانه وتعالى بين من يوجبها على الله تعالى-أي يجب على الله فعل الصلاح والأصلاح لعباده في تشريعاته و أحكامه-وبين من يرى في أن الصلاح في أفعاله تعالى على سبيل التفضل منه لا على سبيل الوجوب.

وانطلاقاً مما سبق فإن المناظرة لم تكن مجرد كلام تلوكه الألسنة أو حوار تتداوله المجالس بقدر ما هي فن قائم بذاته تفعّلت و مقتضيات الحاجة الكلامية في ذلك العصر و وفق تلك الضرورات المعرفية، ومن ثم فإنها كانت مشروطة بأساسين يعدان من أهم شروطها: «الأول منهما هو الاقتدار في المنطق، فبقوة الحجة المنطقية يفحم المناظر خصمه، فيحقق الغلبة و الفوز عليه، و الثاني هو الغلبة في الكلام و تكون بتجنب العي والخطل.

وأن يُرتج عليه في مثل هذه المقامات.»⁽¹⁾ فمجمّل ما يمكن قوله أن المناظرة ضرورة معرفية لغوية تداولية اقتضتها الحاجة العلمية و الدينية إزاء واقع ترتبت عليه معطيات أثرت على معظم الأعمال.

إذ«و لا مناص لنا من الإقرار بأن المعتقد المذهبي في تشكيل وعي الكثير من البلاغيين و الأدباء و النقاد؛ و هو تأثير من القوة و الاستحكام ما يبعث على الاطمئنان إلى الجزم بأن المسلك الكلامي هو المحرك المركزي في الإبداع الأدبي و الفني؛ فقد نشأت البلاغة العربية في أحضان الإقناع الكلامي والعاطفي؛ ولا جرم أن تمكن المعنى من نفس المتلقي، وترسيخه محجوج إلى عدة كلامية مكينة؛ كما أن النقد الأدبي على مختلف أطواره نما، و ترعرع في رحاب علم الكلام؛ ويشهد على هذه المصاحبة المعرفية أن كبار النقاد و البلاغيين كانوا من صنّاع الدفاع عن العقيدة الإسلامية بالأدلة العقلية.»⁽²⁾

إذ شكّلت المناظرة الفن الأكثر تداولاً واعتداداً في التراث العربي الإسلامي وارتبطت بزمان صدر الإسلام«بحيث تشكّلت بوصفها خطاباً حجاجياً استهدف الذود عن العقيدة و مواجهة خصومها»⁽³⁾، و أصبحت بذلك الناطق الرسمي عن التفكير العربي الإسلامي كبديل عن الشعر الذي خبا تأثيره «و لم يعد يحتكر وحده تمثيل الثقافة الإسلامية»⁽⁴⁾ خاصة مع ظهور ما يستدعي

⁽¹⁾ باشا العبادي، فن المناظرة في الأدب العربي-دراسة أسلوبية تداولية-«ط.1؛ الأردن، عمان: كنوز المعرفة العلمية، 1435هـ/2014م. ص.174.

⁽²⁾ عزيز عدمان، دراسات في البلاغة العربية و النقد الأدبي المعاصر، «ط.1؛ الأردن، عمان: عالم الكتب الحديث؛ 1432هـ./2011م. ص.221.

⁽³⁾ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة ص.138.

⁽⁴⁾ حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي «ط.1؛ القاهرة: لونجمان؛ 2000م. ص.1.

مثل هذه المعالجة الكلامية التي تميزت بالقدرة الكبيرة على الرد على ما يتطلبه الرد في مجالات عديدة ومتفاوتة التشعب، ولم يكن ظهور مثل هذا النمط الكلامي و الاعتداد به بمندوح عن الاعتناء به والتأسيس له، إذ ارتبطت لديهم «بالبحث في الأدلة وحشد الحجج وبناء المقدمات و توجيه النتائج، موظفين في ذلك طرقا عقلية في العرض و الاعتراض وتقرير الحقائق التي يذبون عنها أمر تطلب منهم ثقافة واسعة ومختلفة الضروب، تجاوزت فيها معرفة الأديان بمعرفة الفلسفة و علوم اللغة والأدب.»⁽¹⁾

وقد تجسّد هذا الفن في العديد من المجالات و العلوم سواء الأدبية أو غيرها، إلا أن علم الكلام يقف في مقدمة العلوم الشرعية الأكثر اعتداداً بفن المناظرة، وهذا للطبيعة الإجرائية الخاصة بهذا العلم والذي ينطلق أساساً من كون هدفه الأول هو «الدفاع عن العقيدة الإسلامية إزاء أعداء الدين و معرفة الذات والصفات و بعث الرسول، و الفوز بنعيم الآخرة، وحقائق الجنة و النار.»⁽²⁾

فلاحظ الوعي الكبير و المبكر للمتكلمين بأهمية هذا الفن القولي، إذ أدركوا القيمة الكبرى لسلطة اللغة أو سلطة الكلام، معتدين بذلك بالمكتسبات اللغوية والإبلاغية المسيرة للحوار التناظري.

خاصة و أن المناظرة الكلامية تحتاج إلى عُدة تداولية، تنطلق من الوعي بمستلزمات المقام القولي، و تبدأ من الرصيد اللغوي والبلاغي، و تتأسس على البديهة و الفطنة في إدراك المقاصد و فهمها.

وتزداد قيمة القول و الكلام عندهم، و كذا أهمية العدة التداولية من خلال القيمة التي يتشرف بها علم الكلام؛ و الذي تتحدد مهمته من خلال كونه العلم الذي «يبحث في قضايا خلافية تعتبر من صميم المباحث الدينية كصفات الله أو مسائل الجبر و الاختيار و القضاء و القدر والعقل والنقل ومرتكب الكبيرة...»⁽³⁾.

ومن ثمّ فإن «المقتضات التفاعلية و التداولية التي تطلبها علم الكلام، وآليات النظر و الحوار فيه قد حدت بالمتكلمين إلى إنشاء أسس و آداب البحث و المناظرة.»⁽⁴⁾، هذا الفن الذي ليس من فنون الأدب ولا كنوع من أنواعهم -على الرغم من قيمتها الفنية- بل يعد كشكل من الخطاب الحجاجي ومن ثم فهي «حوار بين شخصين واقعيين، و تدور في ظروف مسرحية. هدفها اكتساب تأييد السامع لفرضية ما. وهي تستخدم للوصول إلى هدفها تقنية خطابية تجعل منها النموذج الأمثل للخطاب الاحتجاجي.»⁽⁵⁾

هذا الفن الكلامي الذي ليس بالقول الهزل بقدر ما هو فن قولي قائم على شروط و اعتدادات لا بد لها أن تتحقق لتحقيق نجاعتها:

- 1- أن يكون المتناظران متقاربين معرفة و مكانة.
- 2- أن يجهل المناظر خصمه حتى يستوفي مسألته.
- 3- أن يتجنب المناظر الإساءة إلى بالقول أو الفعل.
- 4- أن يقصد المناظر الاشتراك مع خصمه في إظهار الحق و الاعتراف به.⁽⁶⁾

⁽¹⁾ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة. ص. 156.

⁽²⁾ عامر النجار، علم الكلام -عرض و نقد- «ط. 1؛ القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية؛ 1423هـ/2003م» ص. 5.

⁽³⁾ باشا العيادي، فن المناظرة. ص. 41.

⁽⁴⁾ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة ص. 157.

⁽⁵⁾ حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي. ص. 64.

⁽⁶⁾ طه عبد الرحمن، سؤال المنهج في أفق التأسيس لأنموذج فكري جديد، جمع و تقديم: رضوان مرحوم، «ط 1؛ لبنان، بيروت: المؤسسة العربية للفكر والإبداع؛ 2015م». ص. 201.

3- فن المناظرة و أبعاده في الدرس التداولي:

إنه من الخطأ -لربما- لو قلنا أن هناك مناظرة كلامية و أخرى تداولية، على اعتبار أن المناظرة ما هي إلا نمط كلامي قائم على التناظر والتحاو لا غير تخضع لأصول خطائية و لاستراتيجيات حجاجية وتلتزم بما قصد تحقيق نجاعة الخطاب.

إذ عُدت مادة خصبة ومجالا إجرائيا اعتنى به المتكلمون قديما للضرورات المعرفية و الحاجة العلمية الخاصة بتلك المرحلة، حيث فرضت المناظرة نفسها في ذلك العلم وأسست معالمها من خلاله لطبيعة الموضوع الكلامي القائم على الحوار و المحاجة ولكن على الرغم من قدم العصر وبساطة التنظير في ذلك الوقت إلا أن هذا الفن قد خضع للأسس التداولية الحديثة من حيث الاشتغال بهذا الفن أو حتى التأسيس له، وهذا لاكتمال هذا الفن عند علماء الكلام من التعامل معه.

وقبل الشروع في بيان بعض من الأسس أو المحاور (اللغة- المقصد- المقام) التي يمكن أن تكون محل تقاطع معرفي بين شكل الكلام في "المناظرة" في "علم الكلام" وبين هدف الدرس التداولي و التي تعد الركائز الأساس بالنسبة للتداولية، وهذا انطلاقا من الأسس الثلاثة التي يُعالج من خلالها الكلام و الحوار أو الخطاب لا بد من إيضاح طبيعة المعالقة بين فن المناظرة الكلامي و التداولية.

فالمناظرة في علم الكلام ليست مجرد حوار تعارضي أساسه الجدل العقيم، بقدر ما كانت مؤسسة فعلية عاكسة للإجراء المنهجي القائم عليه.

و لتقريب هذا الفن من ما يصطلح عليه بالتداولية، لا بد من النظر إلى التداولية من جانبين:

- 1- أنه مصطلح يريد التنظير لما يجب عليه الكلام من حيث دراسة ما يقال من خلال التركيز على دراسة اللغة في الاستعمال.
- 2- كونها طبيعة تلفظية لصيقة بالمتكلم، أو بعبارة أخرى أن المتكلم أو المتحاو أو المحاجج أو المعارض سواء كان بسيطا في التفكير أم غير ذلك إنما هو تداولي بالفطرة لأن هذا المتكلم أو المتداول في كلامه إنما هو مراعى لشروط الكلام ولمناسبة المقام، أو بعبارة أخرى منخرط في متاهات الخطاب وإستراتيجيته، سواء أكان واعيا بالأمر أم لا.

ومن تم فالمناظرة كفن كلامي يحكمه ضرورات تداولية.

وبالتالي فالمناظرة كنتيجة حتمية إنما هي: صوغ كلامي مؤسس على قواعد التداول الصحيح ولو اختل شرط من هذه الشروط لاختل توازنها، و انطلاقا من هذا يمكن للتداولية كدرس مستقل بذاته أن يدرس المناظرة من خلال تحقق البعد التداولي للكلام أو الحوار الجدلي فيه؛ و الذي يقوم على الثلاثية: اللغة، المقصد، المقام.

هذه الأخيرة التي تعد شرطا أكيدا لتحقيق أغراض الكلام، كما تعد ركائز تنطلق منها الدراسة التداولية.

فدراستها دراسة تداولية تنطلق من الأسس التداولية التي حقيقتها في بنيتها تلك اللغوية.

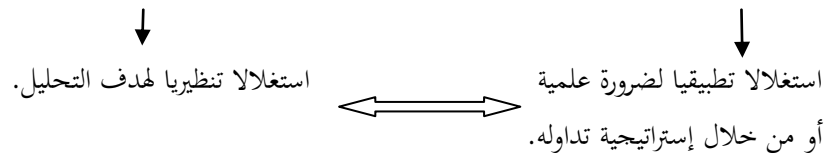
فينظر للمناظرة من منطارين

خاضعة للأسس التداولية كإنتاج قبلي
المناظرة
المدرسة وفق تلك الشروط
الكلامية،

لهذا الفن الكلامي
التي تمحورت في الدرس التداولي
كتحليل بعدي.

لنصل في الختام لإبراز مجال التقاطع المعرفي ذلك بأننا لم نقل أن علم الكلام يشابه التداولية، أو أن علم الكلام أسس للتداولية أو غير ذلك نوع الاستقراء المنطق-لما هو غير موجود وإنما ما يمكن تأكيده هو ذلك التشابه الموجود ما بين علم الكلام على الرغم من إجرائيته التطبيقية وعلم التداولية الذي قوامه الأسس النظرية

والمتمثل بالاهتمام بالكلام من حيث لغته/ مقامه ومقصده ليحقق نجاعته الخطابية



فكانت التداولية هي المنحى أو الإجراء الذي يناسب الدراسة التناظرية وهذا لأن التداولية أساسا «تعنى بالشروط والقواعد اللازمة للملاءمة بين أفعال القول و مقتضيات المواقف الخاصة به، أي العلاقة بين النص و السياق.»⁽¹⁾ كما أن أسلوب المناظرة يحقق لما بين طياته للنجاعة التداولية و كل مظهراتها التواصلية.

1- اللغة:

فالمناظرة عدة كلامية تنمط تحت ما يسمى بـ "فن القول" كونها ممارسة حوارية، «أساسها دعوى يقدمها المدعي يبادر بها متوخيا تحقيق الإقناع بها.»⁽²⁾ وانطلاقا من هذا المبدأ تنطلق حدود التداولية و التي تتأسس على اللغة فتهتم بها انطلاقا من الغاية التواصلية التي تَحَقِّقُ فيها أثناء استعمالها، «فهي لا تدرس اللغة البنية اللغوية ذاتها، ولكن تدرس اللغة حين استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة.»⁽³⁾

ومن تم فالمتكلم في مناظراته لا يقول قولا و لا يتلفظ بلفظ إلا لدواع المناظرة التي بصدد التناظر في موضوعها، وإذا كانت اللغة الأداة الفاعلة في المناظرة، إذ لا تقوم المناظرة إلا بحضور اللغة، و تزداد أهميتها من خلال

2- المقصد:

ولأنها- المناظرة الكلامية- ليست «جحودا لا ينتهي، أو مكابرة متواصلة، إنها محكومة ببلوغ غايات و تحصيل فوائد»⁴ ومن ثم فإنها تتأسس على مقصد محدد واضح و غرض يبين، سواء من حيث المقصد العام التي تتحدد به و يحدد بدوره الغرض العام الذي تنتمي له المناظرة (أدبية، كلامية، نحوية...) أو الغرض الذي يريده المناظر بحد ذاته؛ و المتمثل في إفحام الخصم و إقامة الحجة. إذ يعد المقصد أحد أهم الركائز التي تتأسس عليه الدراسة التداولية، وكذا العملية التداولية أثناء الكلام أو التواصل اللغوي، «فالملفوظ وسيلة اصطلاحية لإيصال مقصد متضمن في القول، يتجاوز المحتوى الخام للملفوظ، ولكنه يشكل قاعدة ضرورية لا غنى عنها.»⁽⁵⁾

3- المقام:

«فالمناظرة تحكمها شروط المقام.»⁶ فلا تقوم إلا من خلال السياق أو المقام، هذا الأخير الذي يتحدد بكونه المكان أو «الموقف الفعلي الذي توظف فيه الملفوظات، و المتضمن بدوره لكل ما نحتاجه لفهم و تقييم ما يقال.»⁽¹⁾

(1) صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، «د.ط.؛ د.مز؛ د.ت.» ص.20.

(2) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة ص.170

(3) مسعود صحراوي، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي-بحوث ضمن كتاب التداولية علم استعمال اللغة، «ط.1؛ الأردن، عمان: عالم الكتب الحديث؛ 1432هـ. / 2011م.» ص.40.

(4) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة ص.170.

(5) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تعريب: صابر الحباشة/ عبد الرزاق الجماعي «ط.1؛ الأردن، إربد: عالم الكتب؛ 2012م.» ص.114.

(6) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة ص.170.

وانطلاقاً مما سبق تتحدد المناظرة على أساس أنها حتمية حوارية قائمة على "الحجاج الفلسفي التداولي" « الذي صورته المناظرة والتي هي: فعالية استدلالية خطابية مبنها على عرض رأي أو الاعتراض عليه، و مرماها إقناع الغير بصواب الرأي المعروض أو بطلان الرأي المعارض عليه استناداً إلى مواضع. »⁽²⁾

من تأسيس لعارض و المعارض حيث عمد علماء الكلام للاهتمام بهذا الفن والاشتغال عليه وتطويره لمناسبته الإجرائية و موافقته المنهجية لطبيعة المعالجة الكلامية في علم الكلام، خاصة وأن اصطلاح هذه التسمية نابع من الإدراك الحكيم لحقيقة وقيمة المقام في تحديد وضبط دلائل الكلام.

ومن ثم فإن شروط التداول الصحيح متوفر فيها و ذلك عبر آلياتها المخصوصة لصوغ حوار مخصوص في مقام مخصوص ووفق آليات مخصوصة:

1- طرفي الحوار: من قائل و متلقي أو عارض و معارض، حسب ترتيب الحوار، فهي-المناظرة- من حيث الإطار الشكلي والحضور المجلسي تقتضي ذلك إذ « لا بد لها من جانبين مدع و مانع تتبدل أدوارهما بتطور المناظرة. »⁽³⁾

2- موضوع الحوار: فلا حوار دون وجود موضوع التمازج وبعبارة أخرى فالمناظرة « لا بد لها من دعوى (القضية موضوع الحوار والمحاكمة). »⁽⁴⁾

3- مقصد الحوار: وهو الغاية المرجوة من هذا الحوار إذ « لا بد لها من مآل يكون بعجز أحد الجانبين (الإفحام أو الإلزام). »⁽⁵⁾ و تكمن أهمية القصد أو القصدي في هذا النوع من الخطاب السجالي في « الكشف عن الحالات القصديّة التي يتمثلها عقل المتكلم، فيدركها و يعي بها و تحدد شعوره و مواقفه، فيتوجه خطابه نحو خصمه أو مشاركته عملية التلطف، و هو مشحون بموضوع قصدي تتجلى ملامحه في عملية التلطف، و تضبط أهدافه في قضايا الدلالية. »⁽⁶⁾

4- إستراتيجية الحوار: يخضع أي حوار لنوع من الإستراتيجيات الخطابية التي يقتضيها مجلس الحوار عند حضور الطرفين، إذ « لكل الجانبين آداب و وظائف. »⁽⁷⁾

5- عفوية الحوار: إذ أن طبيعة الحوار في المناظرة الكلامية عفوية ومباشر وهو حديث الساعة غير مهياً وغير متكلف فيه، إذ تبدأ المناظرة عموماً « بسؤال يطرحه أحد الخصمين، أو على الأقل من أحدهما. و بدأ تتميز المناظرة عن بقية الأنواع الاحتجاجية، إذ إنها تتطلب من الخصمين ذكاء، و ذهنًا حيا يساعداً على استيعاب حجج الخصم و الرد عليها بسرعة. »⁽⁸⁾ وبالتالي فهو محقق لتلك الانسيابية في إنشاء الكلام أو التخاطب.

⁽¹⁾ نوارى سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي-المبادئ و الإجراءات- « ط. 1؛ الجزائر: بيت الحكمة؛ 2009م. » ص. 29.

⁽²⁾ طه عبد الرحمان، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام. ص. 66.

⁽³⁾ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة. ص. 171.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه. ص. 171.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه. ص. 171.

⁽⁶⁾ خليفة الميساوي، القصديّة في الخطاب السجالي مقالات ضمن كتاب: التداوليات و تحليل الخطاب-بحوث محكمة-إشراف: حافظ

إسماعيل علوي... « ط. 1؛ الأردن، عمان: دار كنوز المعرفة؛ 1435هـ/2014م. » ص. 313، 314.

⁽⁷⁾ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة. ص. 171.

⁽⁸⁾ حسين الصديق، المناظرة في الأدب. ص. 213.

6-مبدأ الحوار: ويتمثل أساسا في "مبدأ التعاون" هذا الأخير الذي يعد من المبادئ الأساسية التي تقوم عليها التداولية، والذي يتجسد من خلال المتعارضين، فعندما «يتواجد اثنان في المناظرة؛ فمن الطبيعي هو أن يجنحا معا نحو التعاون قصد إنجاح المحاور». ⁽¹⁾

على الرغم من هذا المبدأ لا يتحقق بالضرورة في المناظرة لأنه فيها «يكاد يكون صوريا أو ضمنيا، وإلا ما تنزل منزلة المتحلي، والذي يتمثل في ضعف الخصم إزاء أسئلة خصمه أن المعرفة العلمية المشتركة غير متكافئة أو أن الرصيد الحجاجي غير متوازن بينها». ⁽²⁾

-إضافة إلى كون المناظرة شكلا من أشكال التفاعل تقتضي تحقيق التواصل، لأن صيغة أي نمط كلامي إنما يهدف إلى تحقيق ذلك المبتغى، على الرغم من أن المناظرة الكلامية إنما هدفها تقريب التواصل أكثر من تحقيقه لاعتبارات الناظر القائم على التعارض، وأيا كان ذلك فإنما هي شكل فريد من أشكال التواصل، و التواصل « بهذا المعنى أساس الثقافة البشرية، بل إن معنى كل سلوك لا يتحدد إلا عن طريق التسنين الثقافي. و التواصل -بهذا المعنى- هو السيورة المركزية المكونة لكل ثقافة. » ⁽³⁾ كما أن المناظرة ليست فقط ترهات قولية وتداعيات كلامية بقدر ما هي حوار غائي هادف و مستهدف.

4-ملاحق تقاطع فن المناظرة بين التداولية وعلم الكلام:

نحاول في هذا العنصر استنتاج المعالم العامة التي تجعل من العلمين متقاربين على الرغم من الاختلاف المنهجي والتباين الإجرائي. إذ أن عدة علماء الكلام هو الكلام؛ و من تم الاهتمام به من جملة صنعتهم لهم، -ومن المعلوم بالضرورة- أن القدماء و في مقدمتهم علماء الكلام قد كانت صنعتهم القول بكل تمظهراته، و هذا لأنه ينطلق من نص القرآن ويعود إليه، فهو بمثابة النص المحوري المركزي لمعظم العلوم التي تطورت في كنفه.

ضف إلى ذلك أن الوصف و التفسير اللغوي عند القدماء « لم يكن منصبا على الجملة المجردة من مقامات إنجازها، بقدر ما نظر إلى النص بعده خطابا متكاملا. » ⁽⁴⁾ و بالتالي خلق نظرا ينطلق من الكل، هذا الكل الذي تتحقق فيه الأغراض التي يصبو أهل الكلام إلى تحقيقها من خلال تفكيرهم وفق أسلوب التناظر.

فكان علماء الكلام إلى جانب غيرهم ⁽⁵⁾ قد أسسوا ووضعوا « الصناعات والقواعد الكفيلة بضبط المعنى وتأويله وتقييده (أي بآليات فهم الكلام المنطوق و المكتوب)، كما اهتموا بطرق تمكين المتكلم من تبليغ غرضه (أي بآليات إنتاج الكلام و إفهامه و كتاباته). » ⁽⁶⁾ فكان الاهتمام بفن القول مكافئا و موازيا للاهتمام بعلم الكلام من حيث هو موضوع الدفاع عن العقيدة.

⁽¹⁾ نور الدين اجعيط، تداوليات الخطاب السياسي ط.1؛ الأردن، إريد: عالم الكتب؛ 2012م. ص.139.

⁽²⁾ بنعيسى أزيبط، البعد التداولي في الحجاج اللساني، ط.1؛ الأردن، عمان: كنوز المعرفة العلمية، 1435هـ/2014م. ص.312.

⁽³⁾ حسن بدوح، المحاور: مقارنة تداولية، ط.1؛ الأردن، إريد: عالم الكتب؛ 2012م. ص.23.

⁽⁴⁾ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية ط.1؛ الجزائر: بيت الحكمة؛ 2009م. ص.141.

⁽⁵⁾ إلى جانب الفلاسفة و المناطق و اللغويين و المفسرين.

⁽⁶⁾ محمد رحالي، الأسس الداخلية للتأويل و التصورات -مقال ضمن كتاب جماعي الدلالة بين النظامي والعرفاني، إشراف: عبد السلام عيساوي ط.1؛ تونس: الدار التونسية للكتاب؛ 2018.

ليفيد مفهوم التقاطع التلاقي الذي يكون بين مجالين أو أكثر، ليس لتطابق المجالين، في المعرفة و الآليات و إنما لوجود ما يدعو لذلك من مبررات منهجية و إجرائية، و هذا ما بين علم الكلام الذي أصله الدفاع عن عقيدة أو مبدأ أو فكرة، و التداولية التي هي درس تحاول من خلاله وضع الأسس و القواعد العامة التي يقف عندها فائدة القول و نجاعته الخطابية.

وانطلاقاً من التحديد السابق يمكن القول التقاطع المعرفي إنما هو محاولة اختزال بعض من الأسس النظرية للدرس التداولي في علم الكلام واستقراء بعض ملامح التقارب الموجود بين العلمين انطلاقاً من فن المناظرة. خاصة و أنه يبدو من الوهلة الأولى « أن الوصل أمر غير معقول متى وضعنا في الاعتبار أن علم الكلام بحث في فلسفة الدين و العقائد على شرط الإسلام، وأن التداوليات بحث في شرائط استعمال اللغة و توظيفها لتحقيق تواصل و تفاهم جيد، فيكون الجمع بينهما جمعاً غير معلل ولا موجه، بيد أنه بعد إمعان النظر يتبين أن هذا الجمع لا يخرج عن كونه مع استمداد و تلاقح¹. و لفهم حقيقة التقاطع المتجلية بين علم الكلام و التداولية، نحاول اختزالها في هذه النقاط و التي تبدأ بتحديد خصائص المناظرة:

- 1- المناظرة الكلامية خاضعة لسياق فكري أكثر من سياقات أخرى.
 - 2- مشبعة بالحاجة الفكرية والمذهبية.
 - 3- الخاصية الجدلية التي تلتزم بها المناظرة الكلامية
 - 4- توخيها الإقناع وكذلك الاقتناع.
 - 5- تركيزها على مبدأ المعارضة وقد سمي طه عبد الرحمان طرفيها بالعارض و المعارض.
 - 6- الغائية من الخطاب التناظري أي أنه ليس خطاباً عبثياً وإنما هو خطاب مؤسس و محضر له.
- من خلال هذه الخصائص العامة للمناظرة يمكن استجلاء بعض نقاط للتقاطع:
- 1- المناظرة فن خصب للتباحث التداولي، إذ يعد المنهج الأنسب للتحليل فيها و هذا لقيامها-المناظرة-على حسن القول و مناسبتها لمقامه.
 - 2- المناظرة إنما هي كلام أو تداول يراعي الشروط اللازمة في القول حتى يحقق مطلبه التواصل.
 - 3- المناظرة كلام، و إن كان هذا الكلام مشروطاً بمعايير مخصوصة، هذه المعايير أسس يقوم عليها الدرس التداولي.
 - 4- علم الكلام و منه المناظرة مادته هي اللغة أو الكلام، هذا الأخير هو المبحث الأساس الذي تشتغل عليه التداولية من خلال البحث في الشروط الواجب توفرها فيه.
 - 5- تعد التداولية درساً فعالاً لاستجلاء أسس الكلام أو الحوار أو الجدل أو التداول، الموظفة في نصوص المتكلمين أو علماء الكلام، و من تم البحث عن مدى نجاعتها التواصلية، و تحقق استراتيجيات الخطاب فيها.

ختاماً:

إن البحث في التقاطع ما بين المتغيرين، ليس من باب الإقحام أو من باب التمثل بقدر ما هو تأكيد على ضرورة الربط المعرفي و التأكيد على الحاجة العلمية بين العلوم، ضف إلى ذلك الخاصية الأساسية المشتركة بينهما و المتمثلة في استعمال اللغة أو الكلام.

فعندما نقر بالتقاطع بين علم الكلام و التداولية فإنه في المقام الأول يقتضي احترام الخصوصية الموجودة في العلمين، فإذا كان علم الكلام علم مجند للدفاع عن العقيدة الإسلامية عن طريق وسيلة الكلام.

¹ - إدريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية و التداولية للنظر النحوي عند سبويه، ط. 1؛ عمان: جدارا للكتاب العالمي؛ 2006م. ص. 1.

فإن مهمة التداولية هي دراسة الكلام المحقق لغرض التواصل، و من تم فوجه التقاطع هو الاعتداد بالكلام و استراتيجياته و تحقيقه للغرض التواصل، سواء انتاجا (علم الكلام) أو دراسة (التداولية). كما يجدر التذكير في هذا المقام بالقيمة الفعلية للدرس التداولي و مدى مناسبه للمادة الكلامية، إذ تعد آلية من آليات البحث الخطابي و التأسيس لفن الكلام و الحوار، و خاصة إذا فُعِّلَتْ نظرياتها، من مثل النظرية المقصدية أو نظرية أفعال الكلام أو الاستلزام الحوار، فإنها ستعتمد إلى استجلاء حقيقي للمعنى التداولي المحقق في نصوص المتكلمين. ضف إلى ذلك القيمة الحقيقة لتداخل العلوم سواء من الناحية الفعلية لتلاقح العلوم و تقاطعها، أو باعتبارها علوم آلة تكون وسيلة هامة لفهم علم معين (علم الكلام) بأدوات غير أدواته (التداولية)، و قد تحقق بذلك نتائج فيه لربما لا يستطيع العلم بأدواته أن يحققها.

قائمة المراجع:

- 1 - إدريس مقبول، الأسس الإستمولوجية و التداولية- للنظر النحوي عند سيبويه- «ط.1؛ الأردن، عمان: جدارا للكتاب العالمي للنشر و التوزيع؛ 2006م.»
- 2 - باشا العيادي، فن المناظرة في الأدب العربي- دراسة أسلوبية تداولية- «ط.1؛ الأردن، عمان: كنوز المعرفة العلمية، 1435هـ/2014م.»
- 3 - بطرس البستاني، محيط المحيط- قاموس عصري مطول للغة العربية- تحقيق: محمد عثمان، «ط.1؛ لبنان: دار الكتب العلمية؛ 2009م.»
- 4 - بنعيسى أزيابط، البعد التداولي في الحجج اللساني، «ط.1؛ الأردن، عمان: كنوز المعرفة العلمية، 1435هـ/2014م
- 5 - جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتاي، «ط.1؛ لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون؛ 1431هـ/2010م.»
- 6 - خليفة الميساوي، القصدية في الخطاب السجالي مقالات ضمن كتاب: التداوليات و تحليل الخطاب- بحوث محكمة- إشراف: حافظ إسماعيل علوي... «ط.1؛ الأردن، عمان: دار كنوز المعرفة؛ 1435هـ/2014م.»
- 7 - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية «ط.1؛ الجزائر: بيت الحكمة؛ 2009م.»
- 8 - حسن بدوح، المحاورة: مقاربة تداولية، «ط.1؛ الأردن، إريد: عالم الكتب؛ 2012م.»
- 9 - حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي «ط.1؛ القاهرة: لونغمان؛ 2000م.»
- 10 - رجاء أحمد علي، علم الكلام، «ط.1؛ الأردن، عمان: دار المسيرة؛ 1433هـ/2012م.»
- 11 - طه عبد الرحمان، الحوار أفقا للفكر «ط.1؛ لبنان، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث و النشر؛ 2013م»
- 12 - طه عبد الرحمان، سؤال المنهج في أفق التأسيس لأنموذج فكري جديد، جمع و تقديم: رضوان مرحوم، «ط.1؛ لبنان، بيروت: المؤسسة العربية للفكر و الإبداع؛ 2015م.»
- 13 - طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، «ط.2؛ المركز الثقافي العربي؛ 2000م.»
- 14 - حامر النجار، علم الكلام- عرض و نقد- «ط.1؛ القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية؛ 1423هـ/2003م
- 15 - علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، «د.ط.؛ بيروت: مكتبة لبنان؛ 1985م.»
- 16 - مسعود صحراوي، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي- بحوث ضمن كتاب التداولية علم استعمال اللغة، «ط.1؛ الأردن، عمان: عالم الكتب الحديث؛ 1432هـ/2011م.»

- 17 عبد العزيز حويدق، الحجاج في فن المناظرة، من كتاب: الحجاج مفهومه و مجالاته، إعداد و تقديم: حافظ إسماعيلي علوي، «ط.1؛ الأردن، عمان: عالم الكتب الحديث؛ 1431هـ./2010م.»
- 18 عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، «ط.1؛ الجزائر: منشورات الاختلاف؛ 1434هـ./2013م.»
- 19 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب -مقاربة لغوية تداولية- «ط.1؛ لبنان، بيروت: دار الكتب الجديدة؛ 2004م»
- 20 عزيز عدمان، دراسات في البلاغة العربية و النقد الأدبي المعاصر، «ط.1؛ الأردن، عمان: عالم الكتب الحديث؛ 1432هـ./2011م.»
- 21 خليل بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تعريب: صابر الحباشة/ عبد الرزاق الجماعي «ط.1؛ الأردن، إربد: عالم الكتب؛ 2012م.»
- 22 محمد رحالي، الأسس الداخلية للتأويل و التصورات -مقال ضمن كتاب جماعي الدلالة بين النظامي والعرفاني، إشراف: عبد السلام عيسوي ط.1؛ تونس: الدار التونسية للكتاب؛ 2018.
- 23 حسود صحراوي، التداولية عند علماء العرب -دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي- «ط.1؛ لبنان، بيروت: دار الطليعة؛ 2005م»
- 24 -نوارى سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي-المبادئ و الإجراء- «ط.1؛ الجزائر: بيت الحكمة؛ 2009م
- 25 نور الدين اجعيط، تداوليات الخطاب السياسي «ط.1؛ الأردن، إربد: عالم الكتب؛ 2012م.»
- 26 يوسف تغراوي، التداوليات و تقنيات التواصل «ط.1؛ المغرب: مطبعة بلنفيقية الرشيدية؛ 2012م
- 27 المنجد في اللغة العربية المعاصرة، «ط.2؛ بيروت: دار المشرق؛ 2001م.»